

الوصايا العشر

والصحيفة التي لم يفضض خاتمها

الشيخ محمد الصالح رمضان
أديب و عضو بارز في الحركة الإصلاحية في الجزائر.

لكل دين وصايا وأحكام تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، مما ينفع الناس ويفيدهم في حياتهم وفي معادهم. وكل الأديان التي جاءت بها الرسل تشترك في الأمر بتوحيد الله تعالى في العبادة و عدم الاشراك به ، وتوصي بالحق والصبر، وبالفضائل ومكارم الأخلاق،وتنهى عن الباطل وكبائر الإثم والفواحش. ولكن الناس هم الذين يبدلون ويغيرون في تعاليم الله لهم.

في أول عهدي بالدراسة العربية الإسلامية — وأنا شاب في مقتبل العمر- كنت مارًا ذات يوم في شارع من شوارع قسنطينة سنة 1935 أو سنة 1936 فلفت نظري واجهة دكان صغير فيها كتب مختلفة، فوقفت أتأمل عناوينها. وناداني صاحب المحل : تعال، فدخلت، قال : أطالب أنت ؟ قلت : نعم، وعرض عليّ كتبه، فإذا هي كتب مسيحية تبشيرية، أسعارها زهيدة رمزية، قلت ليس معي فــلوس، قال : خذ ما تشاء وادفع ثمنها متى تريد، قلت :لا أجد فيها

ما يستهويني أو يثير اهتمامي، وبعد حوار قصير من هذا النوع، غيَّر مجرى الحديث عن الكتب وأسعارها، إلى الأديان ورسلها التي تقدمت الإسلام، قلت : نحن نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين لا نفرق بين أحد منهم، قال : وهل تؤمن بكتبهم ؟ قلت : نعم، قال : إذن ما يمنعك من شراء الإنجيل ؟ قلت : أي إنجيل، إنها أناجيل متعددة ؟ ولا أدري أيها أصح ... قال : كلها صحيحة إنها من كلام سيدنا يسوع المسيح، قلت : كلا إنها روايات مختلفة رويت بعد سيدنا عيسى عليه السلام بعشرات السنين، ولنا في القرآن كلام الله — الذي جاء بعدها– ما يغنينا عن كل كلام آخر ... وجرى الحديث على هذا النحو...

وهؤلاء المبشرون مغرمون بجدالنا ومناقشتنا لإدخالنا في دينهم أو لتشكيكنا في ديننا على الأقل، ولكن أنّى لهم أن يحولوا مسلما عن دينه — ولو كان تحت سلطة استعمارية مسيحية جائرة– إلا إذا كان جاهلا بَدينه، أو كان فقيراً معدما فهو طامع في رفدهم، أو أخذوه غراً صبيا، أو نحو ذلك من وسائل التأثير والإغراء.

ولكن سؤالاً واحداً من أسئلة ذلك المبشر اللُّبناني حَيَّرَني ولم أعرف له جواباً وقتها وبقي يقلقني. قال لكل دين وصايا تعتبر خلاصة ذلك الدين وزبدته، وذكر لي الوصايا العشر عندهم كمثال، قال فما هي وصايا دينكم؟ قلت أنا حديث عهد بدراسة ديني، ولذلك فلا أعرف وصايا من هذا النوع، ولكني أعرف سورة من أقصر سور القرآن تشتمل على مثل ذلك في أقصر

وأحكم عبارة، قال ما هي؟ قلت (سورة العصر) وتلوها عليه، ثم قلت : فالإنسان في خسران إلاّ إذا آمن وعمل صالحاً وتمسك بالحق وبالصبر وأوصى بهما. قال هذا غير كاف، قلت بل كاف واف، ومن شاء التفصيل ففي أماكن أخرى متعددة من القرآن والسنة النبوية وهذه السورة — على قصرها- جمعت فأوعت، وهي آية في بلاغة القول وإحكام المعاني الكبيرة في عبارة قصيرة. وانصرفت عنه دون أن يقنعني أو أقنعه، وبقيت الوصايا العشر في بالي من ذلك اليوم، حتى عثرت عليها بعد سنين طويلة مصادفة دون أن أهتم بالبحث عنها فاستوقفتني و تأملتها جيدًا.

وفيما يلي أورد الوصايا العشر عند المسيحيين والإسرائيليين وأعقب عليها بالوصايا الإسلامية.

الوصايا العشر : هي ملخص التعاليم الدينية عند اليهود والنصارى التي أوحى الله بها إلى سيدنا موسى عليه السلام، وهو قائم على جبل الطور بسيناء بين مصر وفلسطين. وقد وردت في الكتاب المقدس في ذكر العهد القديم، وهي أساس كثير من المبادئ الدينية والأخلاقية عندهم، وتتلخص في توحيد الله، وتحريم اليمين الكاذبة، وتقديس يوم الراحة، واحترام الوالدين، والامتناع عن القتل،والسرقة،والزنى،وشهادة الزور،والطمع في ما للغير،وفي حريمه،ويمكن أن نوجز نقلها من سفر الخروج الفصل العشرون كما يلي :

"(1) لا تجعل لك إلهاً غيري (2) لا تحلف باسم الرّب باطلا (3) أذكر يوم السبت لتقدسه (4) أكرم أباك وأمك (5) لا تقتل (6) لا تزن (7) لا تسرق (8) لا تشهد زورًا (9) لا تشتت بيت قريبك (10) لا تشتت امرأة قريبك"، هذه وصاياهم كما وردت في كتابهم فما هي وصايانا؟

أما الوصايا العشر الإسلامية : فقد عثرت عليها في ثلاث آيات متتالية من آخر سورة الأنعام/الآيات:(151،152،153)، ويا ليتني كنت عرفتها قبل أن يسألني ذلك المبشر اللبناني المسيحي فأفحمه بها وهي تبدأ هكذا : ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم:(1) ألاّ تشركوا به شيئا (2) وبالوالدين إحسانا (3) ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم (4) ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن(5) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون (151) (6) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده (7)وأوفوا الكيل والميزان بالقسط،لا نكلف نفسا إلا وسعها(8) وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى (9) وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلكم تذكرون (152) (10).وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون ﴾ (153) سورة الأنعام.

نصف هذه الوصايا (محرمات) جاءت بصيغة (النهي) و النصف الآخر منها (واجبات) جاءت بصيغة (الأمر) ، و كلها أحكام عامة هامة صالحة لكل عصر

و جيل و لا تختلف باختلاف الأمم و الشعوب. و كرّر الله التوصية في آخر كل آية للتوكيد ، لعل الناس يعقلون و يتذكرون و يتقون.

فهذه الوصايا أدق وأضبط، وهي أكمل وأشمل، وإن تشابهت وتقاربت مع الأولى المسيحية، وعبارة القرآن أرشق وأشرق وقد جاء قسمها الأول بصيغة النهي، وجاء قسمها الثاني بصيغة الأمر بضده[1]

هذا وقد وردت في هذه الوصايا الإسلامية أحاديث شريفة مما يدل على أهميتها، منها – كما جاء في شعب الإيمان عن ابن مسعود قال : – من سره أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ هذه الآيات: " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم" ... الآيات الثلاث ... إلى قوله :"لعلكم تتقون"، وكما صحح الحاكم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات البينات ؟ ثم تلا "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم إلخ" ثم قال : فمن وفى بهن فأجره على الله ... إلى آخر الحديث (أما الربيع بن الخيتم فإنه قال يوما لصديق له : هل أدلك على صحيفة عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم – أو قال له : أيسرك أن

[1] - فالأديان التي جاءت بها الرسل أصولها واحدة تشترك مثلا في توحيد الله في العبادة، وعدم الإشراك به فيها وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فلا نعجب من تقارب هذه الوصايا أوتشابهها، فمرسل الرسل واحد وطبائع البشر واحدة أومتقاربة لذلك كانت التعاليم متشابهة قال تعالى "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ... الآية " ولكن الأمم هي التي بدلت وغيرت. الآية (11) من سورة الشورى.

تلقى صحيفة من محمد صلى الله عليه وسلم بخاتم ؟ قال نعم، فقرأ هؤلاء الآيات الأخيرة من سورة الأنعام "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم" إلخ. وفي رواية أن الربيع لعله ابن صهيب الفراهيدي (صاحب الجامع الصحيح) أشرف يوما على أصحاب له فقال لهم (ولعلها واقعة أخرى له) هل أقرأ عليكم صحيفة من رسول الله لم يفل خاتمها (أي لم يفضض) قالوا : نعم، قال : تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، ألاّ تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا. إلى آخر الوصايا العشر التي في الآيات الثلاث. يريد (بالخاتم) أن هذه الصحيفة ما تزال غضة طرية بحيث تصلح لكل زمان وجيل لترقية الإنسان وفائدته.

❀ ❀ ❀